

تفسير البغوي

133 - { فأرسلنا عليهم الطوفان } قال ابن عباس وسعيد بن جبير و قتادة و محمد بن إسحاق - دخل كلام بعضهم في بعض - : لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات فلما عالج منهم بالآيات الأربع : العصا واليد والسنين ونقص الثمار فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم فقال : يا رب إن عبديك فرعون علا في الأرض وبغي وعثا وإن قومه قد نقصوا عهدهك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة ولقومي عطة ولم ينفعهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل الله عليهم الماء وبيوتبني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوتبني إسرائيل من الماء قطرة وركد الماء على أرضهم لا يقدرون أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت .

وقال مجاهد و عطاء : الطوفان الموت وقال وهب : الطوفان الطاعون بلغة اليمن وقال أبو قلابة : الطوفان الجدرى وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض .

وقال مقاتل : الطوفان الماء طفي فوق حروتهم .

وروى ابن طبيان عن ابن عباس قال : الطوفان أمر من الله طاف بهم ثم قرأ { فطااف عليها طائف من ربكم وهم نائمون } (القلم - 19) .

قال نحاة الكوفة : الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقسان .

وقال أهل البصرة : هو جمع واحدها طوفانة فقال لموسى ادع لنا ربكم يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معكبني إسرائيل فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبوthey لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم فقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصباً فلم يؤمنوا وأقاموا شهراً في عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامته زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع ولم يصببني إسرائيل شيء من ذلك فعجووا وضجوا وقالوا : يا موسى ادع لنا ربكم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعدهما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت .

وفي الخبر : (مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم) .

ويقال إن موسى بربى إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغارب فرجعت الجراد من حيث

جاءت وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية فقالوا : قد بقي لنا ما هو كافيـنا فـما نـحن بتـاريـكي دـينـنـا فـلم يـفـوـا بـمـا عـاهـدـوا وـعـادـوا لـأـعـالـهـم السـوـءـ فأـقـامـوا شـهـراـ في عـافـيـةـ ثم بـعـثـا عـلـيـهـم القـملـ .

(واختلفوا في القمل) فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : القمل السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد و السدي و قتادة و الكلبي : القمل الذي والجراد والطياره التي لها أجنهـةـ والدبـيـ الصـغـارـ التي لا أجـنـحةـ لهاـ وقال (عـكـرـمـةـ : هي بنـاتـ) الجـرـادـ وقال أبو عـبـيدةـ : وهو الحـمـنـانـ وهو ضـرـبـ من القرـادـ وقال عـطـاءـ الـخـرـسـانـيـ : هو القـملـ وبـهـ قـرـأـ أـبـوـالـحـسـنـ (القـملـ) بـفـتـحـ الـقـافـ وـسـكـونـ الـمـيمـ .

قالـواـ : أمرـاـ مـوسـىـ أنـ يـمـشـيـ إـلـىـ كـثـيـبـ أـعـفـرـ بـقـرـيـةـ منـ قـرـىـ مـصـرـ تـدـعـيـ عـيـنـ شـمـسـ فـمـشـيـ مـوـسـىـ إـلـىـ ذـلـكـ الـكـثـيـبـ وـكـانـ أـهـيـلـ فـضـرـبـهـ بـعـصـاهـ فـاـنـشـالـ عـلـيـهـمـ القـملـ فـتـتـبعـ ماـ بـقـيـ منـ حـرـوـثـهـ وـأـشـجـارـهـ وـنـبـاـتـهـ فـأـكـلـهـ وـلـحـسـ الـأـرـضـ كـلـهـ وـكـانـ يـدـخـلـ بـيـنـ ثـوـبـ أـحـدـهـ وـجـلـدـهـ فـيـعـضـهـ وـكـانـ أـحـدـهـ يـأـكـلـ الطـعـامـ فـيـمـتـلـئـ قـمـلاـ .

قالـ سـعـيدـ بـنـ الـمـسـبـ : القـملـ السـوـسـ الـذـيـ يـخـرـجـ مـنـ الـحـبـوبـ وـكـانـ الرـجـلـ يـخـرـجـ عـشـرـةـ أـجـرـبةـ إـلـىـ الرـحـاـ فـلـاـ يـرـدـ مـنـهـ ثـلـاثـةـ أـقـفـزـةـ فـلـمـ يـمـاـبـوـاـ بـلـاءـ كـانـ أـشـدـ عـلـيـهـمـ مـنـ القـملـ وـأـخـذـ أـشـعـارـهـ وـأـبـشـارـهـ وـأـشـفـارـ عـيـونـهـ وـحـوـاجـبـهـ وـلـزـمـ جـلـودـهـ كـأنـ الـجـدـريـ عـلـيـهـمـ وـمـنـعـهـمـ النـوـمـ وـالـقـرـارـ فـصـرـخـواـ وـصـاحـواـ إـلـىـ مـوسـىـ أـنـاـ نـتـوـبـ فـادـعـ لـنـاـ رـبـكـ يـكـشـفـ عـنـاـ الـبـلـاءـ فـدـعـاـ مـوسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ إـلـىـ فـرـقـعـاـ القـملـ عـنـهـمـ بـعـدـمـ أـقـامـ عـلـيـهـمـ سـبـعـةـ أـيـامـ مـنـ السـبـتـ فـنـكـثـواـ وـعـادـواـ إـلـىـ أـخـبـثـ أـعـالـهـمـ .

قالـواـ : ماـ كـنـاـ قـطـ أـحـقـ أـنـ نـسـتـيقـنـ أـنـهـ سـاحـرـ مـنـاـ الـيـوـمـ يـجـعـلـ الرـمـلـ دـوـابـ فـدـعـاـ مـوسـىـ بـعـدـمـ أـقـامـواـ شـهـراـ فيـ عـافـيـةـ فـأـرـسـلـ إـلـىـ عـلـيـهـمـ الصـفـادـعـ فـاـمـتـلـأـتـ مـنـهـ بـيـوـتـهـ وـأـفـنـيـتـهـ وـأـطـعـمـتـهـ وـآنـيـتـهـ فـلـاـ يـكـشـفـ أـحـدـ إـنـاءـ وـلـاـ طـعـاماـ إـلـاـ وـجـدـ فـيـهـ الصـفـادـعـ وـكـانـ الرـجـلـ يـجـلـسـ فـيـ الصـفـادـعـ فـيـ ذـقـنـهـ وـيـهـمـ أـنـ يـتـكـلـمـ فـيـثـبـ الصـفـدـعـ فـيـ فـيـهـ وـكـانـ تـثـبـ فـيـ قـدـورـهـ فـتـفـسـدـ عـلـيـهـ طـعـاـمـهـ وـتـطـفـئـ نـيـرـاـنـهـ وـكـانـ أـحـدـهـ يـضـطـجـعـ فـتـرـكـبـهـ الصـفـادـعـ فـتـكـوـنـ عـلـيـهـ رـكـاـمـاـ حـتـىـ مـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـنـصـرـفـ إـلـىـ شـقـةـ الـآـخـرـ وـيـفـتـحـ فـاـهـ لـأـكـلـتـهـ فـيـسـبـقـ الصـفـدـعـ أـكـلـتـهـ إـلـىـ فـيـهـ وـلـاـ يـعـجـنـ عـجـيـنـاـ إـلـاـ تـشـدـخـ فـيـهـ وـلـاـ يـفـتـحـ قـدـراـ إـلـاـ اـمـتـلـأـتـ صـفـادـعـ فـلـقـوـاـ مـنـهـ أـذـىـ شـدـيدـاـ .

روـيـ عـكـرـمـةـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـالـ : كـانـ الصـفـادـعـ بـرـيـةـ فـلـمـ أـرـسـلـهاـ إـلـىـ آـلـ فـرـعـونـ سـمعـتـ وـأـطـاعـتـ فـجـعـلـتـ تـقـذـفـ أـنـفـسـهـاـ فـيـ الـقـدـورـ وـهـيـ تـغـلـيـ وـفـيـ التـنـاـيـرـ وـهـيـ تـفـورـ فـأـثـابـهـاـ إـلـىـ بـحـسـنـ طـاعـتـهـ بـرـدـ المـاءـ فـلـمـ رـأـواـ ذـلـكـ بـكـوـاـ وـشـكـوـاـ ذـلـكـ إـلـىـ مـوسـىـ وـقـالـواـ هـذـهـ الـمـرـةـ نـتـوـبـ وـلـاـ نـعـودـ فـأـخـذـ عـهـودـهـ وـمـوـاـثـيقـهـ ثـمـ دـعـاـ رـبـهـ فـكـشـفـ عـنـهـمـ الصـفـادـعـ بـعـدـمـ أـقـامـ سـبـعـاـ مـنـ السـبـتـ إـلـىـ السـبـتـ فـأـقـامـواـ شـهـراـ فيـ عـافـيـةـ ثـمـ نـقـضـواـ الـعـهـدـ وـعـادـواـ لـكـفـرـهـمـ فـدـعـاـ عـلـيـهـمـ مـوسـىـ فـأـرـسـلـ

١٠ عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياهم دما وما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجوده دما عبيطا أحمر فشكوا إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب فقال : إنه سحركم فقالوا : من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دما عبيطاً ؟ وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء والقطبي دما (ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقطبي دم) حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جدهم العطش فتقول اسكنني من مائة فتصب لها من قربتها فيعود في إناء دما حتى كانت تقول أجعليه في فيك ثم مجيه في في فتأخذ في فيها ماء فإذا مجته في فيها صار دما وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أجاجاً فمكروا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم . قال زيد بن أسلم : الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربـه D فكشف عنهم فلم يؤمنوا بذلك قوله D : { فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والصفادع والدم آيات مفصلات } يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب يمتد أسبوعاً وبين كل عذابين شهراً { فاستكثروا و كانوا قوماً مجرمين }